

نصوص مختارة (1)

دينُ أهلِ نجدٍ ومعتقداتُهم وأعمالُهم

ومناظرة بين عراقي ونجدي

من كتاب (تاريخ نجد)

للعلامة محمود شكري الآلوسي (1342)

إعداد:

هيئة التحرير بمركز سلف للبحوث والدراسات

ترجمة مختصرة للآلوسي

من كتاب الأعلام للزركلي[1]

(١٢٧٣ - ١٣٤٢ هـ = ١٨٥٧ - ١٩٢٤ م)

محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، أبو المعالي: مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في رصافة بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام، برسائل، فعاداه كثيرون وسعوا به لدى والي بغداد (عبد الوهاب باشا) فكتب هذا إلى مرجعه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، فصدر الأمر بنفيه إلى بلاد الأناضول، فلما وصل إلى الموصل (سنة ١٣٢٠ هـ قام أعيانها فمنعوه من تجاوزها، وكتبوا إلى السلطان يحتجون، فسمح له بالعودة إلى بغداد، فعاد.

ولما نشبت الحرب العامة (الأولى) وهاجم البريطانيون العراق، انتدبته الحكومة (العثمانية) للسفر إلى نجد، والسعي لدى (الأمير) عبد العزيز آل سعود (ملك المملكة العربية السعودية بعد ذلك) للقيام بمناصرتها، فقصده الآلوسي (سنة ١٣٣٣ هـ عن طريق سورية والحجاز، وعرض عليه ما جاء من أجله، فاعتذر وآب صاحب الترجمة مخفقا، فلزم بيته عاكفا على التأليف والتدريس.

واحتل البريطانيون بغداد (سنة ١٣٣٥ هـ فعرضوا عليه قضاءها، فزهد فيه انقباضا عن مخالطتهم. ولم يل عملا بعد ذلك غير (عضوية) مجلس المعارف في بدء تأليف الحكومة العربية في بغداد. وتوفي فيها.

---

(١) (٧/ ١٧٢-١٧٣).

له ٥٢ مصنفا، بين كتاب ورسالة، منها (بلوغ الأرب في أحوال العرب – ط) ثلاثة أجزاء، ألفه إجابة لاقتراح لجنة اللغات الشرقية في استكهولم، وفاز بجائزتها، و (أخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد – خ) أربع مجلدات، و (المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر – ط) و (مساجد بغداد – خ) لم يتمه، و (تاريخ نجد – ط) و (أمثال العوام في دار السلام – خ) و (رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين – خ) و (بدائع الإنشاء – خ) جزآن، و (الآية الكبرى في الرد على الرائية الصغرى – ط) و (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر – ط) و (عقد الدرر، شرح مختصر نخبة الفكر – ط) في مصطلح الحديث، و (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة – خ) و (فتح المنان – ط) في الرد على أهل البدع في الدين، و (تجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان – خ) و (مجموعة – خ) في تراجم بعض العلماء من أهل بغداد، و (صب العذاب على من سب الأصحاب – ط) و (غاية الأماني في الرد على النبهاني – ط) مجلدان كبيران. ولبعض شعراء العصر مراث كثيرة فيه للأستاذ محمد بهجة الأثري، كتاب (محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية – ط)[1] .

---

(١) أعلام العراق ٨٦ – ٢٤١ وعشائر العراق ١: ١٦ ولب الألباب ٢١٨ – ٢٢٤ ومكتبة المتحف العراقي ١٢ و Brock S 2: 787. ومجلة سومر ١٣: ٧١ ومصادر الدراسات ٢: ٤١ – ٤٦.

دِينُ أَهْلِ نَجْدٍ، ومُعتقداتُهم، وأعمالُهم[1]

اعلم أنَّ أَهْلَ نَجْدٍ كلَّهم مسلمون موحِّدون؛ بل وجميع سَكنة جزيرة العرب، وقد دخلوا في الإسلامِ في العصرِ الأوَّل عند ظهورِ أنوار الشريعة الغرَّاء.

وهُم على عقائد السَّلف الصالح؛ فهم يعتقدون أنَّ الله تعالى قديمٌ واحدٌ لا شريكَ له في مُلكه، ولا نِدَّ، ولا ضِدَّ، ولا وزير، ولا مشير، ولا ظهير، ولا شافع إلَّا من بعد إذنه، وأنَّه عَزَّ اسمه؛ لا والد له ولا ولد، ولا كُفء ولا نسب بوجهٍ من الوجوه، ولا زوجة، وأنَّه غنيٌّ بذاته؛ فلا يأكل ولا يشرب، ولا يحتاج إلى شيءٍ مما يحتاج إليه خَلْقُهُ بوجهٍ من الوجوه، وأنَّه لا يتغيَّر ولا تَعرِضُ له الآفات من الهَرَمِ والمرض، والسِّنَة والنوْم، والنسيان والندم والخوف، والهَمِّ والحزَن، ونحو ذلك.

وأنَّه لا يُماثله شيءٌ من مخلوقاتهِ؛ بل ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاتهِ، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وأنَّه لا يحلُّ بشيءٍ من مخلوقاته، ولا يحلُّ في ذاته شيءٌ منها؛ بل هو بائنٌ عن خَلْقهِ بذاته، والخَلْقُ بائنون عنه.

وأنَّه أعظمُ من كلِّ شيء، وأكبرُ من كلِّ شيء، وفوق كلِّ شيء، وعالٍ على كلِّ شيءٍ البتة، وأنَّه قادر على كلِّ شيء، ولا يُعجزه شيء يريده؛ بل هو فعَّال لِما يريد، وأنَّه عالمٌ بكلِّ شيء؛ يَعْلَمُ السرَّ وأخفى، ويعلمُ ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وما تسقط من ورقةٍ إلا يَعْلَمُهَا، ولا حبةٍ في ظُلماتِ الأرض، ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ، ولا متحرِّك ولا ساكن، إلا وهو يَعْلَمُه على حقيقته.

وأنَّه سميعٌ بصير؛ يسمع ضجيجَ الأصوات باختلاف اللُّغات، على تَفنُّنِ الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصَّماء، في الليلة الظلماء، قد

(١) تارخ نجد ص ٤١- ٥٩ ط مكتبة مدبولي، و ص ٥٩- ٨٣ للآلوسي، ط الوراق ٢٠٠٧ .

أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعِلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته بجميع البريَّات، وعمَّت رحمته جميعَ المخلوقات، ووسعَ كُرسيه الأرض والسماوات، وأنَّه الشاهد الذي لا يغيب، ولا يستخلف أحدًا على مُلكه، ولا يحتاج إلى مَن يرفع إليه حوائج عباده، أو يعاونه، أو يستعطفه عليهم، أو يرحمه لهم.

وأنَّه الأبديُّ الباقي الذي لا يضمحلُّ ولا يتلاشى، ولا يُعدم ولا يموت، وأنَّه المُتكلِّم المُكلَّم، الآمر الناهي، قائل الحقِّ، وهادي السبيل، مُرسِل الرُّسل، ومُنزِل الكُتب، قائمٌ على كلِّ نفس بما كسبت من الخير والشر، ومجازي المُحسِن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأنَّه الصَّادق في وعده وخيره، فلا أصدق منه قِيلًا، ولا أصدق منه حديثًا، وهو لا يُخلِف الميعاد، وأنَّه تعالى صَمَدٌ بجميع معاني الصَّمَدِيَّة، يستحيل عليه ما يناقض صمديته، وأنَّه قدُّوسٌ سلامٌ، فهو المُبَرَّأُ عن كل عيبٍ وآفةٍ ونقصٍ، وأنَّه الكامل الذي له الكمال المُطْلَق من جميع الوجوه، وأنَّه العدل الذي لا يجور ولا يظلم، ولا يخاف عباده منه ظلمًا.

وهذا مما اتفقت عليه جميع الكُتب والرُّسل، وهو من المُحْكَم الذي لا يجوز أنْ تأتي شريعةٌ بخلافه، ولا يخبر بشيء بخلافه، هذا اعتقادهم في الإله عَزَّ وَجَلَّ.

وأمَّا اعتقادُهم في النبيِّ صلى الله عليه وسلم: فهُم يعتقدون فيه أنَّه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القُرشي الهاشميِّ المكِّي، عبد الله ورسوله إلى الخَلْقِ أجمعين، نبي الرحمة، وهادي الأُمَّة.

أرسله اللهُ تعالى بالآياتِ الباهرة، والمعجزات الظاهرة، وكرَّمه سبحانه بطهارة الأعراق، وشرّفه بما جَبَلَهُ عليه من مكارم الأخلاق، التي نقض بها عَوائِدَ الفِطَر، وباينَ لها جميع البشر؛ من فروسيته وشجاعته، وبأسِه ونجدته، وعزمه وهمَّته، وعِلمه وحِلمه، وزهده وعبادته، وإجابة مسألته، ورضاه وصبره، وحمده وشُكره، وذِكره وتفكّره، واعتباره وتبصره، وخوفه وخشوعه، وتواضعه وخضوعه، وكرم آبائه وجدوده، وسخائه وجوده، وصمته وفصاحته وصدق لهجته، ورعايته للعهد ووفائه بالوعد، وعدم تلوُّنه ودوام طريقته وسنَّته، وإنصافه في معاملته، وتقواه وأمانته، وشفقته ورفقه، وحُسْن خَلْقِه وخُلُقِه، وجدِّه ووقاره وضياء أنواره، وحيائه ولينه، وثقته ويقينه، وعفوه ورحمته، وصفحه ورأفته، وقناعته وتقلله وصدق توكُّله.

وحباهُ من الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء والكوثر، والشفاعة في المحشر، والقرآن والتلاوة، والتاج والهِرَاوة، والسيف والقَضِيب، والنافِهِ والنَّجِيب، والاسم الحسن، والبرَاعة واللَّسَن، والذِّكر الرفيع، والحِمَى المنيع، والفرع الباسِق، والكتاب الناطق، والقضية والأحكام، والحنيفية والإسلام، والآيات المفصلات، والكلمات المنزَّلات، ومكة المحرمة، والمشاهد المعظَّمة، والحرَم والإحرام، وزمزم والمقام، والمشعَر الحرَام، والطِّعان والجِلادة، والجمعة والجماعة، والسمع والطاعة، والصلاة المكتوبة، والزكاة المفروضة، والتهليل والآذان، وشهر رمضان، والأمر بالمعروف والقُربات، والنهي عن الفواحش والمنكرات، والغِلظة على الكافرين وخَفْض الجناح للمؤمنين، والتفضُّل على المسيئين، والمعرفة بالأقدار، والرهبة من الجبَّار، والسبق في الذِّكر والتقدُّم في الأصْفِياء، والتأخر في البعث والخَتمة للأنبياء؛ مما دلَّ بمجموعه على إثباتِ نبوَّته،

وصِدقِ مقالته، وتفضيله على جميع الخلائق والأنام، وتمييزه على سائر ولدِ آدم عليه السَّلام.

وذلك مع دلائله مفصَّل في كُتبهم، واعتقده كلٌّ من صغيرهم وكبيرهم، وكذلك يعتقدون أنَّ إرسالَ الرُّسل حقٌّ، فهُم يؤمنون بالله وملائكته وكُتبه، ورُسله، لا يفرِّقون بين أحدٍ منهم، ويؤمنون بالسؤال والبعث، والحشر والنَّشر، والجنة والنار، وبجميع ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مُجملًا وتفصيلًا، وتفصيل ذلك في كُتبهم أيضًا.

وجميعُ أهل نجدٍ على اختلافهم في القبائل، كما أنهم يعتقدون ما سبق، كذلك يعتقدون في الآل والأصحاب، ما وردت به السُّنة والكتاب، ويؤمنون بما وردَ في شأنهم من الفضائل، وما رُوي عنهم من الشَّمائل، غير أنهم طووا بِساط المـُمَاراة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتركوا العصبية التي هي من أوتار الباطل وأطْنَابه، فأولئك الآل الكرام، هم الذين يتميّز بحبهم إيمان المرء من نفاقه، والذين ورثوا النور المبين عمَّن خصَّه الله بإشراقه، فالصلاة بهم تمامها، وبالصلاة عليهم خِتامها، ورَحِمَهُم موصولةٌ برَحِمِ المكارم وذِمامها.

وأولئك السادات من الأصحاب الذين خلطهم بجِلدَته، وألظَّ بهم في شِدَّته، أحبوا فيه وأبغضوا، وأنفقوا له وأقرضوا، وفرَض عليهم الصبر معه على البأساء، فما أعرضوا.

ولكلٍّ من هذين الفريقين مقامٌ معلوم، وسهمٌ في السَّبق والفضيلة غير مَسهُوم، ولم يزل أمراؤهم وعلماؤهم يأمرون بالأخذ على ألسنة السُّفهاء، من الخوض فيما شجرَ بين آل النبي وأصحابه، وإظهار العصبية التي تزَحْزِح الحق عن نصابه،

وتُرجعه على أعقابه، وليس مستندها إلا مغالاة ذوي الجهل، وربَّما نشأ منها فتنة، والفتنة أشدُّ من القتلِ.

فأولئك السادات هم النجوم الذين كان بهم الاقتداء، وبهم كان الاهتداء، وقُصارى المسلم في هذا الزمان أنْ يعتلق منهم سببًا، ويأخذ عنهم دينًا وأدبًا، لا يُبلَغُ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه، ولو أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذَهبًا.

نعم، لا يُغالون في حبهم كحبِّ أهل البدع والضلالة، فذلك الذي ما أنزل الله به من سلطان، ولا اقتضته الرسالة.

والحاصل: أنَّ مذهبهم في أصول الدِّين مذهبُ أهلِ السُّنَّة والجماعة، وأنَّ طريقتهم طريقة السَّلف، التي هي الطريق الأسلم، بل الأحكم، وهي: أنَّهم يُقرِّون آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها، ويَكِلُون معناها إلى الله تعالى، كما قال الإمام مالك في الاستواء.

ويعتقدون أنَّ الخيْر والشر كله بمشيئة الله تعالى، ولا يكون في مُلكه إلا ما أراد، وأنَّ العبد لا يقدر على خلقِ أفعاله، بل له كسبٌ يترتب عليه الجزاء، وأنَّ الثواب فضلٌ، والعقاب عدلٌ، ولا يجب على الله لعبده شيء، وأنَّه يراه المؤمنون في الآخرة بلا كيفٍ، ولا إحاطة.

وأنَّهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - نضَّر الله وجهه - ولا ينكرون على مَن قلَّد أحدًا من الأئمة الأربعة دون غيرهم؛ لعدم ضبط مذهب الغير: كالشيعة والزيدية، والكرَّامية، ونحوهم.

وأنَّهم لا يستحقُّون مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد يدَّعيها عليهم، غير أنَّهم في بعض المسائل إذا صحَّ لهم نصٌّ جليٌّ من كتابٍ أو سُنَّة، غير منسوخ، ولا

مُخَصَّص، ولا مُعارَض بأقوى منه، وقال به أحدُ الأئمة الأربعة، أخذوا به، وتركوا المذهب كإرث الجدة والأخوة، فإنهم يقدِّمون الجد بالإرث، وإنْ خالف مذهب الحنابلة.

ولا يفتِّشون مذهب أحد، ولا يعترضون إلَّا إذا اطَّلعوا على نصٍّ جليٍّ مخالف لمذهب أحد الأئمة، وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر: كأمر الصلاة، فإنهم يأمرون الحنفية والمالكية مثلًا بالمحافظة على نحوِ الطمأنينة بالاعتدال والجلوس بين السجدتين؛ لوضوح دليل ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة، فلا يأمرون بالإسرار، وشتَّان بين المسألتين! فإذا قوي الدليل أرشدوهم إلى النصِّ، وإن خالف المذهب، وذلك إنما يكون نادرًا.

ولا مانع عندهم من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض؛ فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المُطلق، وقد سبقَ جمعٌ من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل، مخالفين للمذهب الملتزمين لتقليد صاحبه.

ثمَّ إنَّهم يستعينون على فهمِ كتاب الله بالتفاسير المتداولة المُعتَبرة، ومن أجلِّها لديهم: "تفسير ابن جرير"، و"مختصره" لابن كثير، وكذا "البغوي" و"البيضاوي"، و"الخازن"، و"الحدادي"، و"الجلالين" وغيرها.

وعلى فهمِ الحديث بشروح الأئمة المبرزين: كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري، والنووي على مسلم، والمُناوِي على الجامع الصغير، ويحرصون على كُتُبِ الحديث خصوصًا الأمهات السِّت وشروحها.

ويستعينون بسائر كُتب المذاهب في سائرِ الفنون أصولًا وفروعًا، وقواعدَ، ونحوًا وصرفًا، وجميع علوم الآلة، ولا يُتلِفون من المؤلفات شيئًا أصلًا، إلَّا ما

اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك: كروض الرياحين، أو يحصل بسببه خللٌ في العقائد.

على أنهم لا يفحصون عن مثل ذلك إلا إذا تظاهر به صاحبه معاندًا، وما اتفق عليه بعض البدو في إتلافِ بعض الكُتب إنما صدر منه لجهله، وقد زُجر هو وغيره عن مثل ذلك.

ولا يرون سبي العرب، ولم يفعلوه، ولم يقاتلوا غيرهم، ولم يروا قتل النساء والأطفال، وأمَّا ما يُكذب عليهم سترًا للحقِّ، وتلبيسًا على الخَلق؛ بأنهم يفسِّرون القرآن برأيهم، ويأخذون من الحديث ما وافقَ فهمهم، من دونِ مراجعة شرحٍ ولا مُعوّل على شيخ، وأنهم يضعون من رتبة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنَّه ليس له شفاعة، وأنَّ زيارته غير مندوبة، وأنَّهم لا يعتمدون أقوال العلماء، وأنَّهم يتلفون مؤلفات أهل المذاهب لكون الحق والباطل فيها، وأنَّهم مُجسِّمة، وأنَّهم يُكفِّرون الناس على الإطلاق من بعد الستمائة إلى هذا الزمان، إلا مَن كان على ما هم عليه، وأنَّهم لا يقبلون بيعة أحد، إلَّا إذا أقرَّ عليه أنَّه كان مُشركًا، وأنَّ أبويه ماتا على الشِّرك بالله، وأنَّهم ينهون عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنَّهم يحرِّمون زيارة القبور المشروعة مُطلقًا، وأنَّهم لا يرون حقًّا لأهل البيت، وأنَّهم يجبرونهم على تزويج غير الكُفء لهم، إلى غير ذلك منَ الافتراءات.

فكلُّ ذلك زورٌ عليهم وبُهتان، وكذبٌ محضٌ، من خصومهم أهل البدع والضلال؛ بل أقوالهم وأفعالهم وكُتبهم على خلاف ذلك كله.

فمَن روى عنهم شيئًا من ذلك أو نسبه إليهم، فقد كذب عليهم وافترى، ومَن شاهد حالهم وحضر مجالسهم وتحقَّق ما عندهم، علمَ قطعًا أنَّ جميع ذلك وضعه

عليهم وافتراه أعداء الدين، وإخوان الشياطين؛ تنفيرًا للناس عن الإذعان لإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشِّرك الذي نصّ الله على أنَّه لا يغفره، وأنَّه يغفر ما دون ذلك لمَن يشاء.

فإنَّهم يعتقدون أنَّ مَن فعل أنواعًا من الكبائر: كالقتل للمسلم بغيرِ حقٍّ، والزنى والربا وشرب الخمر، وتكرَّر منه ذلك، لا يخرج بفعلِ ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يُخلَّد في دار الانتقام، إذا مات موحِّدًا لله تعالى في جميع أنواع العبادة...

والذي اعتقدوه في رُتبة النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ رتبته أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنَّه حيٌّ في قبرِهِ حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل؛ إذ هو صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بلا ريْب، وأنه يسمع سلام مَن يُسلِّم عليه، وأنَّه تُسنُّ زيارته غير أنَّه لا تُشدُّ الرِّحال إلَّا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومَن أنفقَ أنفس أوقاته بالصلاة عليه الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين، وكُفي همُّه وغمُّه، كما جاء في الحديث.

وأنهم لا ينكرون كرامات الأولياء، ويعترفون لهم بالحقِّ، وأنَّهم على هدًى من ربِّهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعيَّة، غير أنَّهم لا يستحقُّون شيئًا من أنواع العبادة، لا حال الحياة، ولا بعد الممات، بل يطلبون من أحدهم الدعاء في حال الحياة، وبل ومن كلِّ مسلم؛ فقد جاء في الحديث: «دعاء المرء مستجاب لأخيه».

ويثبتون الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حيثما ورد، وكذا سائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حيثُما وردَ أيضًا، ويسألونها من الله تعالى

المالك[1] لها، والآذِن فيها لمَن شاء من الموحِّدين الذين هم أسعد الناس بها كما وردَ؛ فإنهم يقولون متضرِّعين إلى الله تعالى: اللهم شفِّع نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة، أو عبادك الصالحين، أو ملائكتك، ونحو ذلك.

ولا يلزم أنْ يكونوا مجسِّمة، وإنْ قالوا بالجهة كما وردَ الحديث بها، ويقولون فيمَن مات: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤١].

ولا يقولون بكُفرِ مَن صحّت ديانته، واشتهر صلاحُه وعلمه وورعه وزُهده، وحَسُنَت سيرته، وبالغ في نُصحِ الأُمَّة، وإنْ كان مُخطئًا في هذه المسألة أو غيرها: كابن حجر الهيتمي المكي - رحمه الله - فإنهم يعلمون كلامه في "الدر المنظم"، ولا ينكرون سعة علمه، ولهذا يعتبرون ما بقي من كتبه: كشرح الأربعين، والزواجر، وغيرها، ويعتمدون على نقله.

هذا ما هم عليه، وقد كتبوا في ذلك عدة رسائل، خاطبوا بها مَن له عقل وعلم، وهو مُتَّصِفٌ بالإنصاف، خالٍ من الميل إلى التعصُّب والاعتساف؛ ينظر ما يُقال، لا إلى مَن قال، وأمَّا مَن شأنه لزوم مألوفه وعادته، سواء كان حقًّا أو غير حق، مُقلِّدًا، فهو ممَّن قال: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣]، عادته وجِبلته أنْ يعرفَ الحقَّ بالرِّجال، لا الرِّجال بالحقِّ، فلا يُخاطب هذا وأمثاله، فجنودُ التوحيد بحمدِ الله منصورة، وراياتهم بالسَّعدِ والإقبال منشورة.

وما كتبناه في هذا الحاصلِ هو مضمون رسالة كتبها أحدُ فضلاء علماء نَجْد، وهو الشيخ عبد الله ابن العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عليهم الرَّحمة -

(١) تصحفت إلى: "المسالك"!

وقد قُرِئت بعد دخول الأمير سُعود في الحرمين الشريفين[1]، بمحضر علماء المذاهب الأربعة وبمسمعٍ منهم.

فمنَ الواجب على طالبِ معرفة الحق وإدراك الحقائق، ألا يبادر بالإنكار قبل التبصُّر، ولا يحكم على شيء قبل الوقوف على حقيقة الحال، فالخطأُ في ذلك عظيمٌ.

فَلا تَحكُم بأَوَّلِ مَا تَراهُ ... فأَوَّلُ طَالِع فَجرٌ كَذُوبُ

والقصد بما ذكرناه: التنبيه على خطأ مَن نسبَ إلى القوم ما هم بريئون منه، مما يخلُّ بالديانة، حتى أساءَ الظنَّ بقِسمٍ عظيم منَ الأُمَّة العربية، وانطوَى على بغضهم الذي هو من أعظم أسباب النِّفاق.

وغالبُ مَن أشاعَ ذلك هم أهلُ البدع والأهواء؛ الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وكَذَبُوا بأقوالهم وأفعالهم على الدِّين المُبِين، الذي هو بعيدٌ عنهم بمراحلَ، وهم الدَّجَّالون الجالبون على الإسلام كلَّ عارٍ، وإلا فأهلُ الإيمان هم الذين يستمعون القولَ فيتَّبعون أحسنه.

(١) وذلك عام ١٢١٨ هـ، وقد طُبعت رسالة الشيخ عبد الله، ورسائل أخرى لعلماء نجد، في مطبعة المنار، بمصر سنة ١٣٤٢ هـ في مجموعة تُسمَّى "الهدية السَّنية".

ذِكرُ مناظرةٍ جرت بين عراقيٍّ ونَجْدِيٍّ[1] تحريرًا

هذه مناظرةٌ اتفقت بين شيخٍ عراقي من سكنة بغداد، وبين فاضلٍ كامل وعالِمٍ عامل، من علماء نَجْد: كتبَ بها العراقيُّ إلى العالِم النجديّ، فأجاب عنها بما سيأتي، ولكونها تزيد الحق وضوحًا والواقع بيانًا، أدرجناها على سبيلِ التلخيص والاختصار؛ لينجلي بها الحق المستور، ويُرَدّ بها الباطلُ المشهور؛ رجاءَ الفوز بثوابِ ذلك إن شاء الله تعالى.

قال العراقيُّ السائل:

لِمَ تكفِّرون -يا أهلَ نَجْد- المسلمين، وعِباد الله الصالحين، وتعتقدون ضلالهم، وتبيحون قتالهم؟ واستبحتم الحرمين الشريفين، وجعلتموهما دار حرب؟ واستحللتم دماء أهلهما وأموالهم؟ وجعلتم دار مُسَيْلِمَة الكذَّاب هي دارُ الهجرة ودار الإيمان، مع ما وردَ فيها منَ الحديث: أنها مواضع الزلازل والفتن؛ لما طلبَ أهل نجد الدعاء لأرضهم؟ والتكفيرُ أمرٌ خطير حتى أنَّ أهل العلم ذكروا أنه لو أفتى مائة عالم إلا واحدًا بكلمة كفرٍ صريحة مُجْمَع عليها، وقال عالمٌ واحد بخلاف أولئك، يُحكم بقول الواحد ويُترك قول غيره؛ حقنًا للدماء.

فلِمَ لا تتبصرون في أمور دينكم، ولا تراقبون وقوفكم بين يدي بارئكم، وتركتم الناسَ سالمين من ألسنتكم وأيديكم؟

---

(١) العراقي هو الشيخ داود بن سليمان بن جرجيس، صاحب كتاب: "صلح الإخوان". والنجدي: هو العالم الشهير الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - مؤلِّف كتاب: "منهاج التأسيس والتقديس في كشفِ داود بن جرجيس".

قال العالِم النجدي المجيب:

أيها العراقي، ليس الأمر كما علمتَ أنتَ وأمثالك، بل أنتم في لبسٍ مما نحن عليه، وعسى أنْ يزولَ ذلك عنكم إذا صادفَ ما أكتبه لكم قلوبًا سالمةً من داءِ الغباوة.

فأقول: أركان الإسلام خمسة: أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرَّ بها أحدٌ وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفِّره بتركها، والعلماءُ اختلفوا في كفرِ التارك لها كسلًا من غيرِ جحودٍ، ولا نقاتل إلا على ما أجمعَ عليه العلماء كلُّهم – وهو الشهادتان – وأيضًا نكفِّره بعد التعريف إذا عرفَ وأنكر.

فنقول: أعداؤنا معنا على أنواعٍ

النوع الأول: مَن عرف أنَّ التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهره للناس، وأقرَّ أيضًا أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر، الذي هو دين غالب الناس[1] أنه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله؛ ليكونَ الدِّين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلَّمه، ولا دخلَ فيه، ولا تركَ الشرك؛ فهذا كافرٌ نقاتله بكفره؛ لأنه عرفَ دِينَ الرسول فلمْ يتَّبعه، وعرفَ دِين الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا مَن دخلَ فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزيِّنه للناس.

النوع الثاني: مَن عرفَ ذلك كلَّه، ولكنه تبيَّن في سبِّ دين الرسول مع ادِّعائه أنه عامل به، وتبيَّن في مدحِ مَن عبدَ غير الله، وغالى في أوليائه، وفضَّلهم على مَن وحَّد الله وترك الشرك؛ فهذا أعظم من الأوَّل، وفيه قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٨٩]، وهو ممَّن قال الله فيه: {وَإِنْ نَكَثُوا

---

[1] يعني ممن كان في وقت إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب وما قبله.

أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} [التوبة: ١٢].

النوع الثالث: مَن عرف التوحيد واتَّبعه، وعرف الشِّرك وتركه، ولكن يَكْرَه مَن دخلَ في التوحيد، ويُحِبُّ مَن بقيَ على الشرك، فهذا أيضًا كافر، فيه قول الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٩].

النوع الرابع: مَن سلِم من هذا كله، ولكن أهل بلده مصرِّحون بعداوة التوحيد، واتِّباع أهل الشرك، وساعون في قتالهم، ويتعذَّر عليه تركُ وطنه، ويشقُّ عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضًا كافر؛ فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل، ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه، ولا يمكنه ترك ذلك إلا بمخالفتهم فعل، وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطْعَ دِين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير، فهذا أيضًا كافر، وهو ممَّن قال الله تعالى فيه: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا} [النساء: ٩١]. هؤلاء الذين نُكفِّرهم لا غير.

وأمَّا القول بأنَّا نُكفِّر الناس عمومًا، ونوجب الهجرة إلينا على مَن قدر على إظهار دينه، وأنَّا نكفِّر مَن لم يُكفِّر ولم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدُّون به الناس، عن دين الله ورسوله، وإذا كُنَّا لا نُكفِّر مَن عبدَ القبور من العوام لأجل جهلهم، وعدم مَن ينبههم، فكيف نُكفِّر مَن لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يُكَفِّر ويقاتل؟! سبحانك هذا بهتانٌ عظيم!

فقد ذكرنا لك أيها السائل ما يكشف عنك غطاءك، لو كان لك بصرٌ ثاقب، وفكرٌ سديد، وفطنةٌ كافية، تأخذ بيدك من أوهام الحيرة، وظلمات الوساوس، والله وليُّ التوفيق.

وأمَّا ما ذكره السائل من استباحة الحرمين الشريفين، فاعلم أيها السائل الفاضل، أنَّ هذا من الكذب والبُهْت البيِّن {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥]، لم يقع فيهما قتالٌ بحمد الله فضلًا عن الاستباحة، وإنما دخلهما المسلمون في حالة أمنٍ وصلحٍ وانقيادٍ من شريف مكة، ورؤساء المدينة، وجلس المشايخ منَّا بالحرمين الشريفين للتعليم والتدريس، وكُتبت الرسائل في بيان التوحيد والتنزيه والتقديس، حتى جاءت العساكر فجاسوا خلال الديار، وكان وعدًا مفعولًا.

وأمَّا الأموال التي أُخذت من الحجرة الشريفة، لم تُؤخذ ولم تُصرف إلا بفتاوى أهل العلم من سكان المدينة، ووضْعِ خطوطهم بذلك.

وحاصل ما كُتب: إنَّ هذه الأموال وُضعت توسعةً لأهل المدينة وصدقةً على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُرصدت لحاجتهم، وأُعدت لفاقتهم، ولا حاجة برسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، وإلى اكتنازها وادّخارها في حال حياته، فضلًا عن حال مماته، وقد تقطَّعت أسباب أهل المدينة، ومرتباتهم بمنع الحاج في تلك السنة، فأُخرجت تلك الأموال لما وصفنا من الحال، باطلاع وكيل الحرم وغيره من أعيان المدينة وغيرها.

وما وقع من خيانة وغلول لا تجوز نسبته إلى أهل العلم والدين، أو أنهم راضون أو غير مُنكِرِين له، ولا يجوز أن يُسمى ما وقع استباحةً للحرمين كما ذكرت أيها السائل.

كيف وقد وقع من تعظيم الحرمين، وكسوة الكعبة الشريفة، وتأمين السُّبل والحج إلى بيت الله، وزيارة الحرم الشريف النبوي، ما لا يخفى على مُنصفٍ عرف الحال، ولم يقصد البُهت والضلال؟!

وأمَّا الاستدلال على صلاح أهلها بشرف تلك البُقعة فهو استدلال مَن غربت عنه أدلَّة الشرع وقواعده، وغابت عنه عهود الكتاب العزيز ومواعده، وصار من حسبة الغوغاء والعامة، ولا حاجة لنا إلى تعداد مَن كفر بآيات الله، وصادَمَ رسله، وردَّ حججه من أهل الحرمين، ولا إلى تعداد مَن في بلاد الحبشة والهند وبلاد الفراعنة: كمصر، وبلاد الصابئة: كحران، وبلاد الفُرس المجوسية، من أهل العلم والإمامة والفقه والدين.

وفضلُ الحرمين لا يَشكُّ فيه مَن له أدنى إلمام بما جاءت به الرُّسل الكرام، ولكن ليست فيه حُجَّة على تحسين حال أهلها مُطلقًا، وقد قال سلمان الفارسي رضي الله عنه لأبي الدرداء لما دعاه إلى الأرض المقدسة، ورغَّبه فيها: "إنَّ الأرض لا تقدِّس أحدًا، قال تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأعراف: ١٣٧]، وهي مصر والشام، فإن كان في شرف البقاع حجة ودليل على صلاح أهلها فليكن هنا، وبنو إسرائيل في الأرض المقدسة وهم سكان إيليا والمسجد الأقصى، وقد جرى منهم من الكفر والتكذيب، وقتل الأنبياء ما لا يخفى على مَن أنسَ شيئًا من أنوار النبوَّة والرسالة.

ثم استدلال أهل اليمن على حُسن حالهم مطلقًا بحديث: «الإيمان يَمان، والحكمة يمانية»، وحديث: «أتاكم أهل اليمن أرق قلوبًا، وألين أفئدة»، أظهر من الاستدلال بشرف البقاع على عدم ضلال أهلها؛ لأنَّ حديث: «الإيمان يَأْرِزُ إلى المدينة»[1] يصدق ولو على البعض، والأول أدلُّ على العموم، ولو احتجَّ الأسود العنسي وأمثاله على حُسن حالهم بما تقدَّم لكان جوابه جوابًا لنا، وقد قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران: ١٤٠].

إيضاح المراد من مواضع الزلازل والفتن

أيها السائل، إنك لمَّحت إلى أنَّ المراد من مواضع الزلازل والفتن هي أرض نجد وبلادها، واتخذت ذلك سهمًا رميت به مَن سكن هذه الخطة، ونحن نعذرك في ذلك حيث لم تقف على معنى الحديث، وبعد بيانه نرجو من لطف الله تعالى أن تذعن أنت وأضرابك للحق إن كنت من أهل الفهم والإنصاف.

أمَّا الحديث فهو قوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء: «اللَّهُم بارك لنا في شامنا وفي يمننا». قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله؟ فكُررت ثلاث مرَّات يدعو للشام واليمن، وهم يقولون: وفي نجدنا، فقال في الرابعة: «تلك مواضع الزلازل والفتن»،

(١) ويُروى: أنَّ الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا. الأرز: اللواذ والرجوع، قال الضرير في تفسير الحديث: "الأرز أيضًا أن تدخل الحية جُحرها على ذنبها، فآخر ما يبقى منها رأسها، فيدخل بعد، وكذلك الإسلام خرج من المدينة فهو ينكص إليها حتى يكون آخره نكوصًا كما كان أوله خروجًا". قال: "وإنَّما تأرز الحية على هذه الصفة إذا كانت خائفة، وإذا كانت آمنة فهي تبدأ برأسها فتدخله وهذا هو الانجحار". التاج.

وقد استجيبت دعوته صلى الله عليه وسلم، وحصل من البركات بسبب هذه الدعوات في الشام واليمن ما هو معروف ومشهور، وهل دُوِّنت الدواوين، ووُضع العطاء، وجُنِّدت الجنود، وارتفعت الرايات والبنود إلا بعد إسلام أهل اليمن، وأهل الشام، وصرف أموالهم في سبيل الله؟

ولكن لا يحتج به على صلاح دين أهلهما إلَّا مَن عزبت عنه الحقائق، وعدم الفهم لأصول الدين فضلًا عن الفروع والدقائق، وقد تقدَّم قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا} [الأعراف: ١٣٧].

وجمهور أهل نجد: كتميم، وأسد، وطيِّء، وهوازن، وغَطَفان، وبني ذُهْل بن شَيبان صار لهم من الجهاد في سبيل الله، والمقام بالثغور، والمناقب والمآثر، لاسيما في جهاد الفُرس والروم ما لا يخفى على مَن له أدنى إلمام بشيء من العلوم، ولا يُنكر فضائلهم إلا من لم يعرف جهادهم، وبلاءهم في تلك المواطن.

ولا يشكُّ عاقل أنَّهم أفضل من أهل الأمصار قبل استيطان الصحابة وأهل العلم والإيمان، وأمَّا بعد ذلك فالفضل والتفضيل باعتبار الساكن يختلف، وينتقل مع العلم والدين، فأفضل البلاد والقرى في كل وقت وزمان أكثرها علمًا، وأعرفها بالسُّنن والآثار النبوية، وشر البلاد أقلها علمًا، وأكثرها جهلًا وبدعةً وشركًا، وأقلها تمسُّكًا بآثار النبوَّة، وما كان عليه السلف الصالح.

فالفضل والتفضيل يعتبر بهذا في الأشخاص والسكان، وقد قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

[البقرة: ١٢٦]. وكما أنَّ الحسنات تُضاعف في البلد الحرام، فكذلك السيئات تُضاعف لعظيم حرمته وفضيلته.

وقد جاء في فضل بعض أهل نجد كتميم: ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّه قال: أحب تميمًا لثلاث سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوله لمَّا جاءت صدقاتهم: «هذه صدقات قومي»، وقوله: في الجارية التميمية: «اعتقها فإنها من ولد إسماعيل»، وقوله: «هم أشد أُمَّتي على الدَّجال». هذا في المناقب الخاصة، وأمَّا العامَّة للعرب فلا شك في عمومها لأهل نجد؛ لأنهم من صميم العرب، وما وردَ في تفضيل القبائل والشعوب أدلّ وأصرح في الفضيلة، ممَّا ورد في البقاع والأماكن، في الدلالة على فضل الساكن والقاطن.

ومعلومٌ أنّ رؤساء عباد القبور الداعين إلى دعائها وعبادتها لهم حظٌّ وافر مما يأتي به الدجال، وقد تصدَّى رجالٌ من تميم وأهل نجد للرد على دجاجلة عباد القبور، الدعاة إلى تعظيمها مع الله تعالى، وهذا من أعلام نبوَّته صلى الله عليه وسلم؛ إنْ قلنا: إنَّ "أل" في الدجال للجنس لا للعهد، وإن قلنا: إنَّها للعهد -كما هو الظاهر- فالرَّدُ على جنس الدجال توطئة وتمهيد لجهاده ورد باطله، فتأمله فإنه نفيس جدًّا.

وليتَ غيرك أيها السائل تكلَّم بهذا الكلام، فإن بلادك - أعني العراق - مَعْدِن كل محنة وبلية، ولم يزل أهل الإسلام منها في رزية بعد رزية، فأهل حروراء وما جرى منهم على أهل الإسلام لا يخفى، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثيرٌ من السلف من الإسلام إنما خرجت ونبغت بالعراق، والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به، واشتهر من أصولهم الخمسة التي خالفوا بها أهل السنة،

ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء في توحيد الربوبية غاية يسقط بها الأمر والنهي؛ إنما نبغوا وظهروا بالبصرة، ثم الرافضة والشيعة، وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت، والقول الشنيع في عليٍّ والأئمة، ومسبة أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كل هذا معروف مستفيض عن أهل بلادك! أفلا يستحي أهل هذه العظائم من عيب أهل الإسلام ولمزهم بوجود مسيلمة في بلادهم؟! أما سمعت ما رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخل إبليس العراق فقضى فيها حاجته، ثم دخل الشام فطردوه، ثم دخل مصر فباض فيها، وفرّخ وبسط عبقريه»؟ والعراق قبل الإسلام هي محل المجوس، وعُبَّاد النيران والبقر.

فإن قيل: طَهُرت بالفتح والإسلام، قلنا: فما بال اليمامة لا تطهر بما أظهر الله فيها من الإسلام، وشعائره العِظام، وجهاد أعداء الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام؟

هذا كله - أيها السائل - لو سلَّمنا أنَّ المراد بنجدٍ في الحديث القطعة الشهيرة، مع أنَّ الأمر ليس كما فهمتَ أنت وأضرابك؛ بل المراد بنجدٍ في هذا الحديث وأمثاله هو العراق؛ لأنه يحاذي المدينة من جهة الشرق؛ يوضحه أنَّ في بعض طُرق هذا الحديث: «وأشار إلى العراق».

قال الخطابي: "نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، فهي مشرق أهل المدينة، وأصل نجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور، فإنَّه ما انخفض منها". وقال الدَّاوُدي: "إنَّ نجدًا من ناحية العراق"،

ذكر هذا الحافظ ابن حجر. ويشهد له ما في مسلم عن ابن غزوان: سمعت سالم بن عبد الله، سمعت ابن عمر، يقول: يا أهل العراق ما أسألَكُم عن الصغيرة، وأركَبَكُم للكبيرة! سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الفتنة تجيء من ها هنا». وأومأ بيده إلى المشرق.

فظهر أنَّ هذا الحديث خاصٌّ لأهل العراق؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم فسّر المراد بالإشارة الحسِّيَّة، وقد جاء صريحًا في الكبير للطبراني النصّ على أنها العراق، وقول ابن عمر، وأهل اللغة، وشهادة الحال؛ كلُّ هذا يعيّن المراد.

وأما قولك أيها السائل: "لو أفتى مائة عالم إلا واحد بكلمة كُفر صريحة مجمع عليها، وقال عالم بخلاف أولئك يحكم بقول الواحد.. إلخ.".

فما يستوجب الأسف عليك؛ حيث كنتَ بهذه المنزلة من معرفة دينك! أما علمتَ أنَّ المحتج به في العقائد والأعمال إنما هو الكتاب والسنة والإجماع والقياس؟ فهذا الدليل من أي واحد من الأربعة؟!

ومَن عرف ما في الدَّعوى من العموم والإجماع على خرق الإجماع، حمد الله تعالى على السلامة من داء الجهل، ثم هذا العدد المخصوص أهو غاية وحدّ لا يجوز أن يتجاوزه أحد؟ أو هو مبالغة وتهوُّر لا يبالي به – عند التحقيق والتصوُّر – قومٌ هذا حاصل بحثهم، ونهاية إقدامهم؟

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ادرأوا الحدود بالشُّبهات ما استطعتم»، فهو ليس مما نحن فيه، فإن الخلاف ليس من الشبهة، ولا يُلتفت إليه إذا خالف الكتاب والسنة أو الإجماع، هذا باتفاق المسلمين لا يشكل إلا على الأغبياء، وإطلاق القول بأنَّ الخلاف شبهة يعود على الإسلام بالهدِّ والهدم، والتسجيل على عامة

العلماء بالعيب والذمِّ، فقلَّ حكمٌ من الأحكام الاجتهادية إلا وفيه خلاف، ومن المعلوم أنه جاء الخبر النبوي: أنَّ هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وتختلف في دينها، والعلماء مجمعون على القول بهذا، وأنَّه لا يُلتفت إلى كل خلاف لا سِيَّما ما خالف النصوص والإجماع، وأفتوا بهذا في مسائلَ لا تُحصى في أصول الدين وفروعه، فلو كان وجود الخلاف من الشُّبَهِ لحكمنا بضلالتهم في ذلك كله، وهم مجمعون على عكس ما قال السائل.

ولو أفتى ألوف بما يخالف النصوص فهم في جانب النص والحجة، ولو مع واحدٍ من الألوف، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "لا تستوحش من الطريق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين". وأحسن منه وأدلّ قوله تعالي: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ} [الأنعام: ١١٦]. فبَطُلَ الاحتجاج بالأكثر في الأصول والفروع، وما أحسن ما قيل:

ولَيسَ كلُّ خِلافٍ جَاءَ مُعتَبرًا إلَّا خِلافٌ لَـهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ

قال السائل: يا أهل نجد، ألم تعلموا أنَّ مَن كفَّر المسلمين هو من جمله المارقين؟ فما بالكم اقتديتم بالخوارج، وسلكتم المسالك والمناهج، ووافقتم مذهبهم الباطل واعتقادهم العاطل؛ حيث قال أولئك: "لا حكم إلّا لله"، وقلتم: "لا يُعبد إلّا الله"، وكل من الكلمتين حقٌّ أُريد بهما باطل، وتضليل الأُمَّة المحمدية؟!

قال المجيب: أيها السائل! لو عَرفت حقيقة الحال، لما صدر منك هذا المقال، فأين أهل الإسلام والتوحيد الذين يكفّرون من عبد الأنبياء والأولياء والصالحين، ودعاهم مع الله، من الخوارج الذين يكفرون أهل القبلة والأيمان؟! وكأن عبَدَةَ

القبور عندك أهلُ سُنَّة وجماعة! ليس الأمر كما ظننتَ، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة.

ولا بُدَّ من الكلام على حقيقة مذهب الخوارج ومبدأ أمرهم، والكلام على مذهب عُبَّاد القبور وما هم عليه، وبيان حال الشيخ محمد رحمه الله وتقرير مذهبه، وما هو عليه في المعتقد الذي دعا الناس إليه؛ ليَعْلَمَ الواقف على ما نقرره حقيقة المذاهب، وحاصل العقائد فيما وقعت فيه الخصومة.

***